استعمالات (أيّ) في اللغة الفصيحة في ضوء علم اللغة المعاصر

The Distribution of "?ayy" in Classical Arabic within the Framework of the Contemporary Theory of Linguistics

الدكتور طايل محمَّد أحمد الصرايرة

tmas_81@yahoo.com

جامعة مؤتة/ الأردن

تاريخ الاستلام: 2018/08/27 تاريخ القبول:2019/05/24

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة استعمال الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة في ضوء النظريّة اللغويّة الحديثة، ويوضّح البحث من خلال مفهوم جياناكيدو للفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة أنّ الأداة (أيّ) إمّا أن تكون استفهاميّة صريحة، وإمّا أن تكون تداوليّة، ويفسّر البحث الاستعمالات التداوليّة المتعدّدة للأداة (أيّ) بافتراض أنّ هذه الاستعمالات التداوليّة لا تكون صحيحة إلّا في سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث، الأمر الذي يجعل الأداة (أيّ) التداوليّة لفظاً مستقطباً حسب نظريّة (جياناكيدو) المتعلقة بالألفاظ المستقطبة

The study aims at investigating the distribution of '?ayy'in classical Arabic in the light of the contemporary theory of linguistics. The study shows that '?ayy' has non-interrogative uses besides its use as a question word. It is argued that the non-interrogative uses of '?ayy' can be accounted for by assuming that non-interrogative '?ayy' can only be grammatical in non-veridical contexts and thus it is a polarity item according to Giannakidou's notion of non-veridicality.

المنارة للاستشارات

Keywords: interrogative ?ayy, non-interrogative ?ayy, (non)veridicality, polarity items

المقدِّمة:

لا تنظر الدّراسات اللغويّة المعاصرة إلى الفكر اللغويّ بمعزل عن مستجداتها التي من الممكن تعميمها على لغات العالم كافّة، فهي دراسات تتناول النُّصوص اللغويّة من جانب أنّ الكثير من النظريّات اللغويّة المعاصرة قادرة على تفسير الظواهر اللغويّة البشريّة بشكل عام.

والمؤكّد أنّ الدّراسات اللغويّة المعاصرة المستندة إلى أحدث النظريّات اللغويّة الغربيّة قد تفضي إلى إعادة قراءة التراث اللغويّ العربيّ قراءة مستندة إلى مخرجات هذه النظريّات، فالأسس والآليات التي اعتمدتها هذه النظريّات قد تفضي إلى إعادة دراسة هذا التراث في كافّة تغيّراته وتحوّلاته وانتقالاته من حال إلى أخرى، وهنا لا بد من التركيز على المعنى والاستعمال، وهما العنصران اللغويّان المتصلان بالمتكلم والمتلقّي وعوامل أخرى يقررها السياق، وأعني هنا سياق الكلام.

ومن هنا تذهب الدّراسات اللغويّة المعاصرة إلى أنّ جانب دراسة اللغة من ناحية العلاقات القائمة بين المادة اللغويّة ومستعمليها قد بقي مستبعداً من دراسات الدّارسين الذين كانوا يركزون في دراساتهم على التركيب، وأنّه كان عليهم الالتفات إلى المادة اللغويّة ومستعمليها، أي الجانب التواصليّ للغة، فاللغة من وجهة نظر الدّراسات اللغويّة المعاصرة لا يمكن أن تنحصر بالجانب التركيبيّ فقط، بل هي على اتصال وثيق بالجانب التواصليّ، وهو الجانب الذي يلعب دوراً فاعلاً وبارزاً في إفهامنا حقيقة اللغة[1].

لا بُدَّ للوظيفة التواصليّة للغة من أن تتحدّد في العمليّات التي تضع الكلام في إطاره المتصل بالمرسل والمتلقّي والعمليّة التواصليّة، وذلك من وجهة نظر لغويّة معاصرة، وهنا لا بدّ من وضع اللغة ضمن السياق الذي تؤوَّل فيه، أي لا بد من تحديد ضمنيّ للسياق الذي تؤوَّل فيه الجملة التي يقولها المرسل ويسمعها المتلقّي ضمن وضعيّة تبليغيّة

المنارة للاستشارات

معيّنة[2]؛ ومن هنا أعطت الدّراسات اللغويّة المعاصرة الأساليب الإنشائيّة عناية فائقة، فهي من أهم الوسائل التواصليّة التي تستعملها اللغة لتثير كثيراً من الأمور، منها: الرغبة والإحسّاس والوعظ والإرشاد[3].

والمدقِق في النُّصوص اللغويّة أو المادة اللغويّة التي بين يديه، سيجدها تدور في محور الانتقال بالسامع أو المتلقِي من وضع لغويّ إلى آخر بهدف التغيير؛ لذا، فإن تحليل النص اللغويّ يتطلب الاهتمام بجميع وظائف العبارات في النصّ اللغويّ المدروس، أو النُّصوص اللغويّة المدروسة، فاستعمال الأساليب الإنشائيّة في النُّصوص اللغويّة مثلاً، يجعلها تؤدّي وظيفة أساسيّة نابعة من التغيير وأخذ المتلقِي من حال إلى أخرى، أو ترجع إلى تلوين الخطاب بأنماط لغويّة مختلفة، ولا يكون ذلك إلّا من خلال الوظائف الثانويّة التي تؤدّيها الأساليب الإنشائيّة[4].

إنَّ معطيات النظريّات اللغويّة الغربيّة المعاصرة تقدّم رؤية جديدة في دراسة اللغة ، وتفيد في إعادة النّظر في أقوال النّحاة العرب، وهذا البحث يسعى جاداً لدِّراسة استعمالات الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة وفق ما تقدّمه أفكار وأطروحات هذه النظريّات؛ كونه قد يؤكّد صحة ما ذهبت إليه الدّراسات اللغويّة السابقة في هذا المجال، أو قد يخرج بتفسير جديد يواكب التطوّرات الحاصلة في الدّراسات اللغويّة، وأعني هنا الدّراسات اللغويّة المرتبطة بالنظريّات اللغويّة المعاصرة.

وأعتقد أنّ النظريّات اللغويّة الغربيّة المعاصرة من الممكن أن تقدم لنا معطيات لاختصار الكثير مما قيل عن استعمالات الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة، وهي معطيات أعتقد أيضاً أنّها ستفضي حتماً إلى تعميم النتائج على اللغات البشريّة كلّها.

وينطلق اهتمامي بدراسة استعمالات الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة بناءً على معطيات النظريّات اللغويّة الغربيّة المعاصرة، من ندرة وقلة الدّراسات اللغويّة المعاصرة الرابطة بين ما قيل في لغات أخرى عن موضوع معين في هذه اللغات، وما قيل عن الموضوع نفسه أو موضوع مشابه في اللغة الفصيحة، الأمر الذي قد نصل من خلاله إلى اختصار

المنارة للاستشارات

الكثير من الخلافات والاختلافات في وجهات النظر حول موضوع معين في لغتنا الفصيحة، فهي، وأعني هنا النظريّات اللغويّة الغربيّة المعاصرة، وإن لم تتناول هذا الدّرس في اللغة الفصيحة بالدِّراسة والتحليل، لكن أفكارها ومحاورها مهمة بالنسبة لدارسي اللغة الذين يبحثون عن الحقيقة، أو الذين يبحثون عن أفكار لغويّة جديدة تخدم اللغة الفصيحة؛ وذلك في محاولة منهم لجعل الدّراسات التي تدرس اللغة موازية أو تلتقي مع الدّراسات التي تدرس اللغة كظاهرة إنسانيّة، الأمر الذي سيفضي في النّهاية إلى جعل اللغة الفصيحة ضمن مصاف اللغات العالميّة من ناحية الدّراسات اللغويّة، والمقصود هنا اللغات العالميّة التي وصلت فيها الدّراسات اللغويّة إلى درجات متقدّمة تجاوزت الدّراسات اللغويّة في اللغة الفصيحة.

وقد اتّضح لي من خلال مطالعتي لاستعمالات الأداة (أيّ) في كتب اللغة أنّ هذه الاستعمالات تحتاج إلى إعادة الرجع فيها، وقد ساقني تنوّع الدّراسات الموجّهة لدراسة استعمالات الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة إلى الالتفات إلى أحدث النظريّات اللغويّة الغربيّة المعاصرة التي ساعدت على تفسير الكثير من القضايا اللغويّة في اللغات البشريّة عامة؛ وذلك في محاولة لتفسير التنوّع الحاصل في استعمالات هذه الأداة، ومن أهم هذه النظريّات نظريّة العالمة اللغويّة الأمريكيّة (**Giannakidou** = جياناكيدو) الموسومة بـ: (**نظريّة ثبوت وقوع الحدث الدلاليّة (The (Non)veridicality Approach)**)، خاصة ما يتعلّق في نظريّتها بالألفاظ الحسّاسة أو المستقطبة لسياقات دلاليّة معيّنة (**Polarity Items**)، أو بعبارة أخرى الجزئيّة المتعلقة في نظريّتها باللفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة (**Polarity Items**).

وسأقوم في الجزئيّة القادمة من هذا البحث بتقديم عرض مبسط حول نظريّة العالمة اللغويّة الأمريكيّة (**Giannakidou** = جياناكيدو) المذكورة؛ وذلك تمهيداً لتطبيق فكرتها على استعمالات الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة فيما يأتي من هذا البحث، وهي الجزئيّة التي سأسعى من خلالها إلى الوصول إلى تفسير جديد منسجم مع ما ورد في (**نظريّة**

المنارة للاستشارات

ثبوت وقوع الحدث الدلاليّة (The (Non)veridicality Approach)) لاستعمالات الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة.

نظريّة ثبوت وقوع الحدث الدلاليّة (The (Non)veridicality Approach):

صاحبة هذه النظريّة هي اللغويّة الأمريكيّة من أصول يونانيّة (**Giannakidou** = جياناكيدو)، وقد تحدّثتْ عنها في عدّة مواضع من مؤلفاتها وأبحاثها[5]، علماً أنَّ فكرة هذه النظريّة لم تكن جديدة، فقد اعتمدت النظريّة على الأفكار التي طرحها اللغويّ الهولنديّ (**Zwarts** = زوارتس) في بحث له نشره عام (1995م)[6].

وقد ذهبت جياناكيدو في هذه النظريّة إلى تفسير العديد من القضايا اللغويّة في اللغات البشريّة كافّة، وما يهمني هنا هو ما يتعلّق بتفسير جياناكيدو للألفاظ الحسّاسة أو المستقطبة لسياقات دلاليّة معيّنة (**Polarity Items**)، أو بعبارة أخرى الجزئيّة المتعلقة في نظريّتها باللفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة (**Polarity Items**)، التي تحدد فيها هذا اللفظ بما يلي:

(يكون أيّ لفظ في اللغة لفظاً حسّاساً أو مستقطباً لسياقات لغويّة معيّنة إذا تحدد بشرطين معينين (فقط)، هما:

أ. أن يكون اللفظ (س) محدّداً في استعمالاته بسياقات لغويّة حسّاسة أو مستقطبة لخاصيّة دلاليّة يطلق عليها الخاصيّة الدلاليّة (ص).

ب. أن تكون الخاصيّة الدلاليّة (ص)، هي خاصيّة ثبوت وقوع الحدث أو عدم ثبوت وقوع الحدث، أو إحدى الخصائص المرتبطة بها، وتشمل: ثبوت وقوع الحدث، وعدم ثبوت وقوع الحدث، وثبوت عدم وقوع الحدث، والكيفيّة، والتعاظمية، والامتداد، والعرضية، والاقتضاء التنازليّ).

وقد نصت جياناكيدو على ذلك من خلال قولها الآتي:

"**A linguistic expression α is a polarity item iff:**

المنارة للاستشارات

(i) The distribution of α is limited by sensitivity to some semantic property β of the context of appearance; and

(ii) β is (non)veridicality, or a subproperty thereof:

$\beta \in${veridicality, nonveridicality, antiveridicality, modality,

intensionality, extensionality, episodicity, downward entailingness}".[7]

ويفهم من تحديد جياناكيدو للفظ الحسّاس أو المستقطب (**Polarity Items**)، أنها تقسّم السياقات الدلاليّة في اللغة إلى ثلاثة أقسام، وذلك من حيث ثبوت وقوع الحدث، ومن الممكن توضيح هذه السياقات على النحو الآتي:

أ. سياقات تدل على ثبوت وقوع الحدث (**Veridical situations**):

تعرِّف جياناكيدو هذه السِّياقات بسياقات يكون الحدث فيها ثابت الحدوث والوقوع، ومن الأمثلة التي تقدّمها جياناكيدو على هذه السِّياقات من اللغة الإنجليزيّة، سياقات الجمل المثبتة، نحو قولنا:

- Paul saw a snake.
- رأى بول أفعى.

ولو حاولنا تفسير هذا السياق، لوجدنا أنّ التفسير يذهب إلى أنّ حدث رؤية (بول) للأفعى واقع، ولا مجال للشك فيه، فمن غير الممكن أن نكذب الحقيقة التي تخبرنا بها جملة (**Paul saw a snake**)، فأنت عندما تسأل نفسك أو تسأل أيّ سامع سمع هذه الجملة السؤال الآتي: ماذا رأى بول؟ ستجيب أو سيجيبك بشكل صريح وواضح أنّ بول قد رأى أفعى.

ب. سياقات تدل على ثبوت عدم وقوع الحدث (**Anti-veridical situations**):

المنارة للاستشارات

تعرِّف جياناكيدو هذه السِّياقات بسياقات تدل على أنَّ الحدث لم يقع، ولا مجال للشك في ذلك من قبل المتكلم والسامع معاً، ومن الأمثلة التي تقدّمها جياناكيدو على هذه السِّياقات من اللغة الإنجليزيّة، سياقات الجمل التي ترد فيها أداة من أدوات النَّفي، والسِّياقات التي يرد فيها اللفظان (**without**) و (**before**)، المقابلان للفظين (دون وقبل) في اللغة الفصيحة، نحو الجمل الآتية:

1. Paul did not see a snake.

2. Paul left without seeing a snake.

3. Paul left before seeing a snake.

4. لم يرَ بول أفعى.

5. غادر بول دون أن يرى أفعى.

6. غادر بول قبل أن يرى أفعى.

ولو حاولنا تفسير هذا السياق، لوجدنا أنّ حدث رؤية (بول) للأفعى لم يقع في جميع الجمل السابقة، ولا مجال للتفكير في غير ذلك من قبل المتكلم والسامع معاً، وأنت عندما تسأل نفسك أو تسأل أيّ سامع سمع هذه الجمل السؤال الآتي: هل رأى بول أفعى؟ ستجيب أو سيجيبك بشكل صريح وواضح بناءً على ما سمعته أو سمعه أنَّ الحدث لم يقع، أي أنّ بول لم يرَ أفعى.

ت. سياقات تدل على عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**):

تعرِّف جياناكيدو هذه السِّياقات بسياقات يكون الحدث فيها غير مؤكد الحدوث ولا منفيّ الحدوث، ومن الأمثلة التي تقدّمها جياناكيدو على هذه السِّياقات من اللغة الإنجليزيّة، سياقات الجمل الاستفهاميّة، وسياقات الجمل الشرطيّة، نحو:

1. Did paul see a snake?.

2. If paul sees a snake, he will run.

3. هل رأى بول أفعى؟.

المنارة للاستشارات

4. إذا رأى بول أفعى، فإنّه سيلوذ بالفرار.

فحدث رؤية (بول) للأفعى في الجملتين السابقتين غير مؤكد الحدوث ولا منفيّ الحدوث؛ لكوننا لا نعلم هل وقع حدث رؤية الأفعى أم لم يقع؟ أو هل سيقع حدث رؤية الأفعى أم لم يقع؟ فالأمر يحتمل الوجهين، الرؤية وعدم الرؤية، فأنت عندما يسألك أحدهم السؤال الآتي: هل رأى بول أفعى؟ لا تعرف ما الجواب المناسب لهذا السؤال؛ لكون حدث الرؤية من قبل بول قد يكون واقعاً، وقد لا يكون واقعاً، وكذلك سياقات الجمل الشرطيّة.

ومن الممكن توضيح مفهوم جياناكيدو للفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة (**Polarity Items**) من خلال عرض مبسط عن لفظ من ألفاظ اللغة الفصيحة، وهو اللفظ (أحد) الذي كنت قد أثبت في دراسة سابقة لي أنّه من ألفاظ اللغة الفصيحة التي تستهدف سياقات لغويّة معيّنة، وهي سياقات ثبوت عدم وقوع الحدث (**Anti-veridical situations**)، وسياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو، وأنّه من غير الممكن لهذا اللفظ أن يكون مستعملاً استعمالاً صحيحاً في سياقات ثبوت وقوع الحدث (**Veridical situations**) في النظريّة نفسها[8].

فعند تتبّعي لهذا اللفظ في القرآن الكريم مثلاً، وجدت أنّه قد ورد في (73) ثلاثة وسبعين سياقاً لغويّاً، كان في (43) ثلاثة وأربعين منها مع أداة النَّفي، وما تبقى له من استعمالات وجدته فيها يتعلّق بسياقات يغلب عليها أسلوب الشرط، وقد قلت سابقاً إنّ سياقات النَّفي بالأداة من سياقات ثبوت عدم وقوع الحدث (**Anti-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو، وإنّ سياقات الشرط من سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في النظريّة نفسها، وسأعرض بعض الأمثلة من القرآن الكريم واللغة الفصيحة لتوضيح فكرة السياقات الدلاليّة في نظريّة جياناكيدو بشكل أوضح وأدق.

المنارة للاستشارات

فلو دققنا النظر في قوله تعالى: ﴿لانُفَرِّقُبَيْنَأَحَدٍمِّنرُّسُلِه﴾[9]، لوجدنا أنّ المعنى يذهب بشكل صريح إلى نفي التفريق بين الرسل، وهذا دليل قاطع على أنّ (أحداً) هنا قد استعمل في سياق لغويّ منفيّ بأداة النَّفي، أي أنّه يقع ضمن دائرة سياقات ثبوت عدم وقوع الحدث (**Anti-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو، وينسحب ذلك على كافّة السياقات التي ورد فيها هذا اللفظ مع أداة النَّفي في القرآن الكريم.

ولو انتقلنا إلى السياقات الأخرى التي ورد فيها اللفظ (أحد) في القرآن الكريم من غير أن يكون مع أداة النَّفي، نحو قوله تعالى:﴿يَوَدُّأَحَدُهُمْلَوْيُعَمَّرُأَلْفَسَنَةٍ﴾[10]، لوجدنا أنّ (أحداً) هنا لم يرد ضمن سياق النَّفي بالأداة، لكن المعنى يذهب إلى أنّ الكل يتمنى أن يبقى على قيد الحياة ألف سنة أو أكثر من ذلك، فهو يتوقع عقاب الله وسخطه، لذلك يرى أنَّ الدنيا على ما فيها من الأكدار والآلام خير له مما يستيقن وقوعه في الآخرة[11]، والبقاء على قيد الحياة ألف سنة أو أكثر من ذلك مستحيل الوقوع، وهو ليس واقعاً في الوقت الحالي، ومن هذا التفسير لهذه الآية، ألا يمكننا القول إنَّ التَّمني فيها قد خرج لإفادة ما تحدّثت عنه جياناكيدو في سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**)، فالحدث فيها غير مؤكد الحدوث ولا منفيّ الحدوث.

ومن المواضع التي ورد فيها اللفظ (أحد) في القرآن الكريم من غير أن يكون مع أداة النَّفي، قوله تعالى: ﴿ هَلْيَرَاكُممِّنْأَحَدٍثُمَّانصَرَفُواْ﴾[12]، وقد جاءت هذه الآية بعد أن ذكر سبحانه وتعالى أقساماً من مخازي المنافقين، نحو تخلفهم عن غزوة تبوك وتمسكهم بالأيمان الفاجرة، بالإضافة إلى تهكمهم بالقرآن وتسللهم لواذاً عند سماعه، والمعنى المقصود هنا: "هل يراكم الرسول -ﷺ- أو المؤمنون إذا قمتم من المجلس؟، و(ثم انصرفوا)، أي ثم انصرفوا جميعاً عن مجلس الوحي متسللين كراهة منهم لسماعه وانتظاراً لسنوح فرصة الغفلة عنهم، فكلَّما لمح واحد منهم غفلة عنه انصرف"[13].

وعند التدقيق في المعنى العميق لهذه الآية سنجد أنّ الاستفهام قد أدّى دوراً مهماً لإفادتنا معنى نفي رؤية المتسللين عند الخروج من مجلس الوحي وهم متسلِّلون، وهنا

المنارة للاستشارات

نلحظ أنّ (أحداً) قد استخدم في سياق الاستفهام، وهو من سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو.

ومن المواضع التي ورد فيها اللفظ (أحد) في القرآن الكريم من غير أن يكون مع أداة النَّفي، قوله تعالى: ﴿إِنَّاللَّهَيُمْسِكُالسَّمَاوَاتِوَالْأَرْضَأَنتَزُولَاوَلَئِنزَالَتَاإِنْأَمْسَكَهُمَامِنْأَحَدٍمِّنبَعْدِهِإِنَّهُكَانَحَلِيمًاغَفُورًا﴾[14]، أي إنَّ الله يحفظ السموات من أن تضطرب من أماكنها، ويمنع الأرض من مثل ذلك أيضاً، فيحفظهما برباط خاص، وهو ما يسميه العلماء في وقتنا الحالي نظام الجاذبية، فجميع العوالم تجري في مدارات خاصة بهذا النظام الذي وضع لها بقدرة إلاهية، ولولا ذلك لتبعثر النظام الكوني كلّه[15].

ولو أمعنا النظر في الآية المذكورة، لوجدنا أنّ المعنى قد جاء من خلال أسلوب الشرط، فالله هو حافظ السموات والأرض، ولولا حفظه لهما لتبعثر النظام الكوني كلّه، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من المخلوقات، وقد نفى الشرط هنا قدرة أحد على الإمساك بالسموات والأرض وحفظهما برباط خاص، والمدقق هنا سيلحظ أنّ (أحداً) قد استخدم في سياق الشرط، وهو من سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو.

أمَّا قوله تعالى: ﴿قُلْهُوَاللَّهُأَحَدٌ﴾[16]، فإنَّ (أحداً) فيه تعني أنّه الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد إلّا على الله عز وجل؛ لأنَّه الكامل في جميع صفاته وأعماله، ولا يوصف شيء بالأحدية غيره، ولا يقال رجل أحد، ولا درهم أحد، كما يقال رجل وحد، لأن أحداً صفة الله عزّ وجلّ التي استخلصها لنفسه، ولا يشركه فيها شيء[17]، وهذه الآية اشتملت على اسم من أسماء الله تعالى يتضمن جميع أوصاف الكمال، "وهو الأحد؛ لأنَّه يدل على أحدية الذات المقدسة، الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك، أنَّ الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلّا لمن حاز جميع صفات الكمال، وذلك لا يصلح إلّا لله تعالى"[18].

المنارة للاستشارات

وعند التدقيق في المعنى العميق لجملة (قل هو الله أحد)، سنجد أنَّ (أحداً) هنا ليست استثناء كما فسرها علماء اللغة؛ كون أسلوب الأمر من الأساليب التي تحتمل التشكيك في المعنى، فنحن لسنا متأكدين من وقوع الحدث أو عدم وقوعه في هذه الجملة، وقد عدت جياناكيدو سياق الأمر من سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّتها، وبهذا يكون (أحد) قد وقع في سياق الأمر، الذي هو من سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو.

ولو انتقلنا إلى اللغة الفصيحة، لوجدنا أنّ قولنا: خرجت مريمُ قبل أن تُكلِّم أحداً من الحاضرين، يتجه إلى حصر المعنى بنفي أن تكون مريم قد تكلّمت مع أحدٍ من الحاضرين قبل خروجها[19]، وهنا نلحظ أنّ (أحداً) قد ورد في سياق أو تركيب يبتعد عن استعمال أي أداة من أدوات النَّفي، لكن المعنى في هذا السياق أو التركيب يحتمل النَّفي؛ وذلك بسبب ما أفاده اللفظ (قبل)، الذي جعل السياق أو التركيب يقع ضمن دائرة ثبوت عدم وقوع الحدث، وقد قلت سابقاً إنّ السياقات التي يرد فيها اللفظ (**before**) المقابل للفظ (قبل) في اللغة الفصيحة، من السياقات التي تندرج ضمن سياقات ثبوت عدم وقوع الحدث (**Anti-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو.

وسنجد أيضاً أنّ قولنا: قلَّ أحد منكم يقول ذاك إلّا زيد، يتجه إلى إثبات عدم وقوع الحدث[20]، وكذلك في جملة نحو: أنكر عليٌّ أنَّه رأى أحداً من أصدقائه في المدرسة، التي يكون المعنى فيها يَحْتَمِلُ أنّ عليّاً ينفي رؤيته لأحد من أصدقائه في المدرسة، وكذلك إذا قلنا: جحد عليٌّ أنَّه رأى أحداً من أصدقائه في المدرسة.

وتأكيداً لما قلته، فإننا عندما نبحث عن الأفعال (قلَّ، وأنكر، وجحد) في اللغة الفصيحة، سنجد أنَّها تتضمن دلالياً معنى إثبات عدم وقوع الحدث، فإذا وردت في جملة من غير أن تسبق بأداة نفي دلت على النَّفي، وإذا وردت مسبوقة بأداة نفي في جملة أخرى زال معنى النَّفي من الجملة، والمعروف أنّ هذه الأفعال تتفاوت في دلالتها على النَّفي حسب المعنى الأساسيّ الخاص الذي يدل عليه كل فعل منها[21].

المنارة للاستشارات

والمقصود هنا أنّ هذه الأفعال تدل من غير أن يذكر معها أداة النَّفي على إثبات عدم وقوع الحدث، فهي تدل بلفظها على ثبوت عدم وقوع الحدث، وقد تحدّثت جياناكيدو عن ذلك في نظريّتها، وجعلت مثل هذه الألفاظ تقع ضمن دائرة سياقات ثبوت عدم وقوع الحدث (**Anti-veridical situations**) في نظريّتها التي نحن بصددها.

وهنا نلحظ أنّ (أحداً) قد استخدم في الجمل السابقة من غير أن يذكر معه أي أداة من أدوات النَّفي، لكنه جاء مع أفعال تدل بلفظها على إثبات عدم وقوع الحدث، وهذا يجعله واقعاً ضمن سياقات ثبوت عدم وقوع الحدث (**Anti-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو.

ونحن عندما نقول: خرجت مريم دون أن تكلّم أحداً من الحاضرين، يكون مقصودنا: خرجت مريم من غير أن تكلّم أحداً من الحاضرين، أو خرجت مريم ولم تكلّم أحداً من الحاضرين، بمعنى أنّنا قد نفينا حديثها مع أحدٍ من الحاضرين، وقد جاء النَّفي هنا من اتساع في الاستثناء باستعمال اللفظ (دون)[22]، وقد قلت سابقاً إنّ السياقات التي يرد فيها اللفظ (**without**) المقابل للفظ (دون) في اللغة الفصيحة، من السياقات التي تندرج ضمن سياقات ثبوت عدم وقوع الحدث (**Anti-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو.

ولو قلنا: الامتحانُ أصعب من أن تجيب مريم على أحدٍ من أسئلته، لوجدنا أنّ معنى الصِّيغة الصَّرفية (أصعب) يذهب بنا إلى عدم إثبات وقوع الحدث، وهو معنى جديد للصِّيغة الصَّرفية (أفعل) توصّلت إليه قياساً على ما ورد في كلام العرب، فمريم قد تجيب عن أحدٍ من أسئلة الامتحان، وقد لا تجيب؛ نظراً لصعوبته[23]، وهنا نلحظ أنّ (أحداً) قد استخدم في الجملة السابقة من غير أن يذكر معه أي أداة من أدوات النَّفي، لكنه جاء مع فعل أو صيغة صرفية دلت على عدم إثبات وقوع الحدث، وقد عدت جياناكيدو مثل هذه الصيغ الصرفية دلالة واضحة على سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical**

المنارة للاستشارات

situations) في نظريّتها، وهذا يجعل (أحداً) هنا يندرج تحت سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو.

ومن الممكن أن يبطن السياق أو التركيب الذي ترد فيه (كل) معنى عدم ثبوت وقوع الحدث، نحو قولنا: كل الطلاب الذين ضربوا أحداً من زملائهم نالوا العقاب، فنكون هنا قد أثبتنا حدث الضرب لجزء منهم، ونفيناه عن الجزء الآخر، وفي المقابل نكون قد أثبتنا حدث العقاب لبعضهم، ونفيناه عن البعض الآخر، وكذلك إذا قلنا: كل طالب ضرب أحداً من زملائه نال العقاب[24]، وهذا يجعل (أحداً) هنا يندرج تحت سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو التي نحن بصددها.

ويتّضح لي بعد هذا العرض أنّ (أحداً) في اللغة الفصيحة يستهدف سياقات لغويّة معيّنة، وهي السياقات المحتملة لثبوت عدم وقوع الحدث وسياقات عدم ثبوت وقوع الحدث في نظريّة جياناكيدو، وأنّه من غير الممكن لنا أن نستعمله في سياقات ثبوت وقوع الحدث في النظريّة نفسها، وقد أكّد على ذلك سيبويه في كتابه، وذلك من خلال قوله: "ولا يجوز لأحدٍ أن تضعه في موضعِ واجبٍ، لو قلت كان أحدٌ من آل فلان، لم يجز؛ لأنَّه إنّما وقع في كلامهم نفياً عاماً"[25]، والعرب تقول: ما جاءني من أحد، ولا تقول: قد جاءني من أحدٍ، وتقول: لا أحدَ في الدار، ولا تقول: فيها أحد[26]، والجدول الآتي يوضّح السِّياقات اللغويّة التي يستهدفها اللفظ (أحد) في اللغة الفصيحة؛ وذلك بناء على معطيات نظريّة جياناكيدو:

المنارة للاستشارات

اللفظ / السياق	أحد
سياق أداة النَّفي (ثبوت عدم وقوع الحدث)	√
سياق أدوات التَّمني والاستبعاد (عدم ثبوت وقوع الحدث)	√
سياق أسلوب الاستفهام (عدم ثبوت وقوع الحدث)	√
سياق أسلوب الجزاء (عدم ثبوت وقوع الحدث)	√
سياق أسلوب الأمر (عدم ثبوت وقوع الحدث)	√
سياق التضاد (قبل) (ثبوت عدم وقوع الحدث)	√
سياق الأفعال المتضمنة دلالياً معنى إثبات عدم وقوع الحدث (ثبوت عدم وقوع الحدث)	√
سياق الاستثناء (دون) (ثبوت عدم وقوع الحدث)	√
سياق المعاني الجديدة للصيغة الصرفية (أفعل) (عدم ثبوت وقوع الحدث)	√
الجمل المثبتة (ثبوت وقوع الحدث)	×

وخلاصة هذه الجزئيّة من هذا البحث أنّ مفهوم جياناكيدو للفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة ينطبق على اللفظ (أحد) في اللغة الفصيحة، فهو حسّاس أو مستقطب لسياقات ثبوت عدم وقوع الحدث (**Anti-veridical situations**)، وسياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**)، لكنه في المقابل يبتعد عن السياقات التي أطلقت عليها جياناكيدو سياقات ثبوت وقوع الحدث (**Veridical situations**)، فلا يجوز لنا أن نقول: قد جاءني من أحدٍ، أو في الدار أحد[27]، وبهذا أكون

المنارة للاستشارات

قد وضّحت مفهوم جياناكيدو للفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة من خلال لفظ من ألفاظ اللغة الفصيحة.

ولو أخذنا فكرة اللفظ الحسّاس أو المستقطب في نظريّة جياناكيدو وطبقناها على الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة، لوجدنا أنّ هذه النظريّة ستوصّلنا إلى اختصار الكثير من الخلافات والاختلافات في وجهات النظر حول استعمالات هذه الأداة في لغتنا ، فهي، أي نظريّة جياناكيدو، وإن لم تتناول الأداة (أيّ) بالدِّراسة والتحليل، لكن أفكارها ومحاورها مهمّة لإعادة الرجع في تشعباتها الكثيرة في اللغة الفصيحة، خاصة ما يتعلّق باستعمالاتها، وسيتّضح ذلك بشكل أكبر فيما سيأتي من هذا البحث.

استعمالات الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة بناءً على مفهوم اللفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة في نظريّة جياناكيدو:

يصل المدقّق في الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة إلى أنّ هذه الأداة قد أخذت حيّزاً كبيراً من ناحية الحديث عن استعمالاتها في دراسات النّحاة العرب، والحقيقة أنّ موضوع استعمالاتها سهل بسيط يمكن توضيحه من خلال مفهوم جياناكيدو للفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة، فهي إمّا أن تكون استفهاميّة صريحة، وإمّا أن تكون تداوليّة، وهذا يختصر الكثير مما قيل عنها في هذا الجانب.

والمقصود هنا أنّني سأثبت أنّ (أيّاً) في اللغة الفصيحة تستعمل في استعمالين لا ثالث لهما، فتكون استفهاميّة في الاستعمال الأول، وتكون تداوليّة في الاستعمال الثاني، وهي عندما تكون تداوليّة، ستقع ضمن دائرة الألفاظ الحسّاسة أو المستقطبة في اللغة، بمعنى أنّني سأجعلها من ناحية الاستعمال في قسمين، هما: (أيّ) الاستفهاميّة و(أيّ) التداوليّة الحسّاسة أو المستقطبة في اللغة.

وقد اخترت (أيّاً) هنا بسبب تميّزها عن غيرها من أدوات اللغة بميزات عديدة، أهمها ما يتعلّق بإعرابها واستعمالاتها الكثيرة، فلو تتبعنا استعمالاتها في اللغة الفصيحة

المنارة للاستشارات

من وجهة نظر علماء ، لوجدناها اسماً يأتي على ثمانية أوجه، هي الشرط والاستفهام الحقيقي والاستفهام التوبيخي والاستفهام الإنكاري، وتكون موصولة بمعنى الذي، وتكون صفة دالة على معنى الكمال، فتقع صفة للنكرة، وتكون للتعجب، وتكون وصلة إلى نداء ما فيه (أل)، وقد ذكر الأخفش وجهاً تاسعاً تكون فيه (أيّ) نكرة موصوفة[28].

وما يهمني هنا هو ما يتعلّق بالاستعمالات المشهورة لهذه الأداة، التي من الممكن حصرها بالاستعمالات التي ذكرها ابن هشام في كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)[29]، وهي الاستفهام والشرط وأن تكون اسماً موصولاً، أو وصلة لنداء ما فيه (أل)، أو للدلالة على معنى الكمال، علماً أنّ الاستعمالات الأخرى قد جاءت متفرقة في كتب النحو غير متفق عليها من علماء ، فمن العلماء من وصفها بأنّه لم يرَ أحداً قد ذكرها، ومنهم من أنكرها، ومنهم من وصفها بأنّها غير مسموعة، وغير ذلك[30].

وسأقوم فيما سيأتي من هذه الجزئيّة في هذا البحث بتقديم عرض حول الاستعمالات المشهورة للأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة[31]، وسأعتمد في هذا العرض على مفهوم اللفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة في نظريّة جياناكيدو الموسومة بـ: (**نظريّة ثبوت وقوع الحدث الدلاليّة (The (Non)veridicality Approach)**)، وذلك على النحو الآتي:

أ. (أيّ) الاستفهاميّة:

المقرَّر عند النّحاة العرب أنّ (أيّاً) مرتبطة بما تضاف إليه، فإن أضيفت إلى مكان كانت من المكان، وإن أضيفت إلى زمان كانت من الزمان، وإن أضيفت إلى غيرهما كانت مرتبطة بما تضاف إليه[32]، وهي مبهمة ويتعيّن معناها بالمضاف إليه بعدها[33].

و(أيّ) الاستفهاميّة عند النّحاة العرب معربة، وهي بذلك تخالف أسماء الاستفهام الأخرى، وقد أعربت (أيّ) الاستفهاميّة حملاً على بعض وكل، وهما نظيرها ونقيضها، بالإضافة إلى أنّها لا تنفصل عن الإضافة، كما لا تنفصل عنها كل من (كل) و (وبعض)، والمعروف أنّ الإضافة من أحكام الأسماء، وليست من أحكام الحروف، وهذه

المنارة للاستشارات

علة رابعة للإعراب في (أيّ) الاستفهاميّة، وهي علة ضعف الشبه بالحرف لعدم ابتعادها عن الإضافة[34].

ويذهب النّحاة العرب إلى أنّ (أيّاً) الاستفهاميّة تتميّز في هذا الاستعمال عن الاستعمالات الأخرى بعدم عمل الفعل الذي قبلها فيها، وأنّ ما يعمل فيها هو الفعل الذي بعدها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُالَّذِينَظَلَمُوا أَيَّمُنقَلَبٍيَنقَلِبُونَ﴾[35]، فالفعل (ينقلبون) هو الذي نصب (أيّاً) هنا، وليس الفعل (سيعلم)، ويعود ذلك إلى أنّ الاستفهام له الصدارة في الكلام[36]، ولو أردنا أن نستفهم بـ(أيّ) مسبوقة بفعل، لكنّا مجبرين على أن يكون الفعل من أفعال الشك واليقين، نحو (ظننتُ) و(علمتُ)، وما أشبههما، أي الأفعال التي يجوز لنا أن نلغيها، فيصح قولنا: علمتُ أيُّهُم في الدارِ؟ ولا يصح قولنا: ضربت أيُّهُم في الدارِ؟ ونحن نريد الاستفهام؛ لأن الفعل (ضربت) ليس من الأفعال التي يجوز لنا أن نلغيها[37].

وما حصل في قولنا: علمتُ أيُّهُم في الدارِ؟ هو إبطال لعمل فعل من أفعال الشك واليقين لفظاً لا محلاً؛ لاعتراض ما له صدر الكلام بينه وبين مفعوليه، وقد عبَّر المبرد عن التعليق بالإلغاء، حيث قال: "ألا ترى أنَّه لا يدخل على الاستفهام من الأفعال إلَّا ما يجوز أن يُلغَى؛ لأنَّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وهذه الأفعال هي التي يجوز ألّا تعمل خاصّةً، وهي ما كان من العلم والشك فعلى هذا ﴿لِنَعْلَمَأَيُّالْحِزْبَيْنِ﴾[38]، و ﴿وَلَقَدْعَلِمُواْلَمَنِاشْتَرَاهُ﴾[39]؛ لأنَّ هذه اللام تفصل ما بعدها مِمَّا قبلها، تقول: علمت لزيدٌ خير منك"[40].

و(أيّ) الاستفهاميّة تضاف إلى النكرة المتعددة وغير المتعددة، أي النكرة الدّالة على المفرد والمثنى والجمع، نحو قولنا: أيُّ طالبٍ نجح في الامتحان؟ وأيُّ طالبين نجحا في الامتحان؟ وأيُّ طلابٍ نجحوا في الامتحان؟ وأيُّ طالبةٍ نجحت في الامتحان؟ وأيُّ طالبتين نجحتا في الامتحان؟ وأيُّ طالبات نجحن في الامتحان؟ والمعنى في هذه الجمل: أيُّ واحدٍ من الطلاب نجح؟ وأيُّ اثنين منهم نجحا؟ وأيُّ جماعةٍ منهم نجحوا؟ وأيُّ واحدة من الطالبات

المنارة للاستشارات

نجحت؟ وأيُّ اثنتين منهن نجحتا؟ وهكذا، بمعنى أنّها تطابق معنى المضاف إليه تمام المطابقة[41].

وتضاف (أيّ) الاستفهاميّة إلى المعرفة شريطة أن تكون هذه المعرفة دالة على متعدد حقيقي، أو متعدد تقديري، أو بالعطف بالواو، ويقصد بالمتعدِّد الحقيقي هنا المتعدد الحقيقي الذي يدلُّ بلفظه الصَّريح على تثنية أو جمع، نحو قولنا: أيُّ الطالبين أحق بالنجاح؟ وقولنا: أيُّ الطلابِ أحق بالنجاح؟ أمّا المتعدد التقديري، فهو المتعدد الذي يدل بلفظه على مفرد له أجزاء متعددة بعضها هو المقصود بالاستفهام عنه عند الإضافة، أي أنّ المضاف إليه يكون مفرداً في الظاهر متعدداً في التقدير؛ وذلك بسبب الأجزاء التي يتكون منها، وكأنّ (أيّاً) هنا مضافة إلى كلمة محذوفة تقديرها (أجزاء)، أو ما يشابهها، نحو قولنا: أيُّ الوجهِ أجمل؟ والمراد: أيُّ أجزاءِ الوجه أجمل؟[42].

ويتحقَّق التعدُّد بالعطف بأن نعطف المعرفة المفردة على المعرفة المفردة من خلال حرف العطف (الواو) فقط، فينشأ التعدد المطلوب، نحو قولنا: أيُّ دراسةِ الطب ودراسةِ الهندسة أنفع؟ والمراد: أيُّهما؟ بمعنى: أيُّ واحدةٍ من دراسةِ الطب والهندسة أنفع؟[43].

ويجد المتتبّع للدراسات اللغويّة أنّ النحويين العرب قد درسوا (أيّاً) ضمن الحقل النحوي فقط، ولم يلتفتوا لها ضمن علم المعاني الذي تنتمي له في كل استعمال من استعمالاتها التي قررها علماء ، وكان الواجب أن ينظروا لها نظرة أسلوبية نابعة من تقسيم البلاغيّين للأساليب اللغويّة إلى خبريّة وإنشائيّة، وحصرها ضمن الإنشاء الطلبيّ الذي يستدعي هدفاً أو مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويشمل ذلك: الأمر والاستفهام والنهي والتمني والنداء[44].

ويقسم البلاغيّون دلالات الاستفهام إلى الدّلالة الوضعيّة التي تقتضي طلب الفهم للمجهول لدينا، والدّلالة المجازية التي تقتضي إعلام المخاطَب بشيء يجهله، فهي في الدلالتين تذهب إلى الوصول إلى المجهول لدى المخاطِب أو المخاطَب، وهذا ما وضع له

المنارة للاستشارات

الاستفهام في الأصل[45]، فلو قلنا: أيّهما نجح في الامتحان؟ نكون قد استفهمنا استفهاماً حقيقياً (وضعياً) للوصول إلى معرفة الطالب الناجح، بمعنى أنّنا نطلب تحديد الطالب الناجح من الطالبين اللذين اشتركا في أمر واحد يتعلّق بهما.

ولو انتقلنا إلى قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥقَوْمُهُۥقَالَأَتُحَاجُّونِّيفِياللَّهِوَقَدْهَدَانِوَلَآأَخَافُمَاتُشْرِكُونَبِهِۦإِلَّآأَنيَشَآءَرَبِّيشَيْـًٔاوَسِعَرَبِّيكُلَّشَيْءٍعِلْمًاأَفَلَاتَتَذَكَّرُونَ ۞وَكَيْفَأَخَافُمَآأَشْرَكْتُمْوَلَاتَخَافُونَأَنَّكُمْأَشْرَكْتُمبِاللَّهِمَالَمْيُنَزِّلْبِهِعَلَيْكُمْسُلْطَـٰنًافَأَىُّالْفَرِيقَيْنِأَحَقُّبِالْأَمْنِإِنكُنتُمْتَعْلَمُونَ﴾[46]، لاتّضح لنا أنّ الاستفهام هنا قد انتقل إلى الدّلالة المجازية التي يطلب من خلالها الاعتراف، فالمتكلم في هذا النوع من الأسئلة يعلم ما يسأل عنه، لكنه يطلب من المخاطَب أن يعترف ويقر بما يسأل عنه[47].

وما أريده هنا أنّ المستفهم بأيّ أداة من أدوات الاستفهام في اللغة الفصيحة يبحث عن الحصول عمّا لم يكن معروفاً له[48]، وإذا استفهمنا بالأداة (أيّ) تحديداً، فإننا نسعى من خلال الاستفهام بها إلى الوصول لتبيين المجهول في أذهاننا، وهذا يثبت الاستعمال الأول من الاستعمالين اللذين حددناهما للأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة، وهو استعمالها في باب الاستفهام بشكل صريح وواضح، وقد اتّضح لي ذلك من خلال حديث علماء القدامى عنها في هذا الجانب، فهم قد نصّوا على ذلك صراحة، ولم يكن في حديثهم أيّ مجال للشك في أن تكون موضوعة في هذا الجانب لغير الاستفهام.

ب. (أيّ) الشرطيّة:

يتفق علماء على أنّ (أيّاً) في جمل نحو: أيُّهُم يكْرِمْني أكْرِمْه، وأيَّهُم تَضْرِبْ أضْرِب، وبأيِّهِم تَمْرُرْ أمْرُرْ، اسم شرط جازم، وهي في حال كونها اسم شرط جازم لا تختص بشيء معين، فهي لا تختص بالعاقل كـ:(من)، وغير العاقل كـ:(ما)، والمكان كـ:(أين)، والزمان كـ:(متى)، وإنما هي مبهمة بحسب ما تضاف إليه[49].

المنارة للاستشارات

و(أيّ) الشرطيّة من حيث العموم والإبهام، حكمها كحكم (مَنْ) وباقي أدوات الشرط الجازمة، أي أنّ الشرط بها يقتضي العموم، فيعمّ العقلاء وغيرهم، ويعم الأمكنة والأزمنة، وأنت عندما تقول: أيَّهُم تَضْرِبْ أضْرِب، يكون مقصودك: مَن تضرب أضرب في العموم، والمقصود هنا أنّ (أيّاً) تكون مجرّدة من الظرفية إذا أضيفت إلى اسم، نحو: أيَّهُم تَضْرِبْ أضْرِب، وتكون ظرف زمان أو مكان إذا أضيفت إليهما، نحو: أيّ يوم تصم أصم، وأيّ مكان تجلس أجلس.

وتقوم (أيّ) في الشرط مقام (إنْ) الشرطيّة، وتنوب عنها لفظاً وعملاً[50]؛ وذلك لفائدة الاختصار، فأنت عندما تقول: أيّ يأتني أكرمه، تكون قد أنبت (أيّاً) عن قولك: إنْ يأتني بعض القوم أكرمه، وفائدة وضعها للاختصار تتحقق من العموم الذي وضعت له، فهي تعم الأجزاء من ذوي العلم وغيرهم، ولولا معنى الاختصار فيها، لطال الشرط إطالة مفرطة[51].

و(أيّ) الشرطيّة من الأسماء الملازمة للإضافة في اللغة الفصيحة، فإن حذف المضاف إليه من جملتها كانت الإضافة فيها معنوية، وهنا يجب أن يكون في الجملة قرينة تدل على المضاف إليه، نحو قوله تعالى: ﴿أَيًّامَّاتَدْعُواْفَلَهُالأَسْمَاءالْحُسْنَى﴾[52]، أي: أيّ اسم[53]، وتكون (أيّ) في هذه الحالة منونة متبوعة بـ(ما) غالباً، وقد تكون متبوعة بـ(ما) وهي مضافة إضافة لفظية، نحو قوله تعالى: ﴿أَيَّمَاالأَجَلَيْنِقَضَيْتُفَلَاعُدْوَانَعَلَيَّ﴾[54]، كما أنّه يجوز أن تأتي (ما) بعد المضاف إليه، نحو قراءة ابن مسعود: (أيّ الأجلين ما قضيت)، لكن الأفضل أن تأتي (ما) بين (أيّ) والمضاف إليه[55].

ويذكر النّحاة العرب أنّ الأصل في فعل الشرط وجوابه، أو ما يطلق عليه في الشرط والجزاء، أن يكونا مضارعين، نحو قولنا: إن تدرس أدرس؛ لأن الشرط موضوع في الأصل للاستقبال، وبما أنّه موضوع للاستقبال وجب أن يكون فعله وجوابه على ما وضع له[56].

المنارة للاستشارات

ومن العلماء من أجاز أن يكون فعل الشرط وجوابه ماضيين، نحو قولنا: إن قام زيد جلس عمرو؛ لأنّ الماضي عند العلماء أخف من المضارع، فاستعملوه لخفته، وأمنوا اللبس من جانب أنّ أدوات الشرط تدل بنفسها على الاستقبال، ومنهم من أجاز أن يكون فعل الشرط ماضياً وجوابه مضارعاً، نحو قولنا: إن درست أدرس، وهو عندهم ليس مستحبّاً؛ لأنّنا نخالف في مثل هذه الجملة بين فعل الشرط وجوابه، والأصل أنّهما مستويان في الحكم، أمّا من جعل فعل الشرط مضارعاً وجوابه ماضياً، نحو قولنا: إن تلعب لعبت، فقد وصف العلماء ذلك بأنّها صورة قبيحة رديئة في أسلوب الشرط؛ لأنّ فعل الشرط المضارع يجب جزمه، وإذا كان جوابه ماضياً لم نجد لجزمه طريقاً، والأصل أن تجزم (إن) فعلين، فإذا جزمت فعلاً واحداً صارت كأنّها منعت بعض مقتضاها، فمقتضاها فعلان[57].

والمعروف عند النّحاة العرب أن (أيّاً) الشرطيّة معربة، وهي بذلك تخالف أسماء الشرط الأخرى، وقد أعربت (أيّ) الشرطيّة عند النّحاة العرب لنفس الأسباب التي جعلت (أيّاً) الاستفهاميّة معربة، فما ينطبق عليها في الاستفهام من ناحية الإعراب ينطبق عليها في الشرط من الناحية نفسها[58].

ولو دققنا النظر في (أيّ) الشرطيّة، لوجدناها تستهدف سياقات لغويّة محدّدة، وهي سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو، فالحدث في سياقها غير مؤكد الحدوث ولا منفيّ الحدوث؛ وذلك انطلاقاً من أنّ الأصل في فعل الشرط وجوابه أن يكونا مضارعين، وأنّ الشرط موضوع في الأصل للاستقبال، وأنّ أدوات الشرط تدل بنفسها على الاستقبال، وهي عندما وقعت ضمن دائرة هذه السياقات ستكون لفظاً حسّاساً أو مستقطباً في اللغة (**Polarity Items**)، وذلك كما جاء في النظريّة التي قمت بعرضها، وبذلك ستقع ضمن القسم الثاني الذي وضعته لها، وأعني هنا (أيّاً) التداوليّة الحسّاسة أو المستقطبة في اللغة، وهذا يختصر الكثير مما قيل عنها في هذا الجانب.

ج. (أيّ) الموصولة:

المنارة للاستشارات

إنَّ المتتبّع لـ(أيّ) المشدّدة عند علماء ، سيجد أنّ طائفة العلماء الذين عدّوها بمنزلة الموصول يجعلونها بمنزلة (الذي)[59]، وأنّهم يجعلونها مبنيّة قياساً على نظيريها، وهما: (مَنْ) و (مَا)، ويحتجون لمذهبهم هذا بأنّها عندما تكون استفهاماً، ستتضمن معنى همزة الاستفهام، وعندما تكون شرطاً، ستتضمن معنى حرف الشرط، وعندما تكون موصولة، تكون كبعض الاسم، والمعروف عند العلماء أنّ بعض الاسم مبنيّ لا يستحق الإعراب[60].

ومن العلماء من يذهب إلى إعراب (أيّ) الموصولة، وقد أعربت عندهم لنفس الأسباب التي جعلت (أيّاً) الاستفهاميّة و (أيّاً) الشرطيّة معربتين، فما ينطبق عليها في الاستفهام والشرط من ناحية الإعراب ينطبق عليها في الموصولة من الناحية نفسها[61].

والحقيقة أنّ (أيّاً) الموصولة تختلف في أمر البناء والإعراب عن باقي أخواتها من الموصولات، فهي معربة، وأخواتها مبنية، لكنها تبنى في حالة واحدة، وهي عندما تضاف وتكون صلتها جملة اسمية محذوفة الصدر، أي المبتدأ، نحو قولنا: يعجبني أيُّهم مغامرٌ، وقولنا: سأتحدث عن أيُّهم مغامرٌ، وقولنا: سأعرف أيُّهم مغامرٌ، والمعنى: أيُّهم هو مغامرٌ، وإذا لم يتحقق أيّ شرط من شروط بنائها، فالواجب فيها الإعراب، وذلك في أربع حالات، نحو قولنا: سيزورني أيُّهم هو أشجع، وقولنا، سأصافح أيَّهم هو أشجع، ونحو قولنا: سأقبل على أيّهم هو أشجع، وتكون في هذه الحالة مضافة وصلتها جملة اسمية صدرها مذكور، ونحو قولنا: سيفوز أيٌّ هو مخلص، وقولنا: سنكرم أيّاً هو مخلص، وقولنا: سنحتفي بأيٍّ هو مخلص، وتكون في هذه الحالة غير مضافة وصلتها جملة اسمية صدرها مذكور، ونحو قولنا: سيسبق أيٌّ خبيرٌ، وقولنا: سوف نذكر بالخير أيّاً محسنٌ، ونُعْنى بأيّ بارعٌ، وتكون في هذه الحالة غير مضافة وصلتها جملة اسمية صدرها غير مذكور، ونحو قولنا: تزور أيَّهم محمد مكرمه، وقولنا: سوف أثني على أيّهم يتسامى بنفسه، قولنا: سأغضب على أيّهم عندك، ويكون صدر صلتها في هذه الحالة اسماً ظاهراً، أو فعلاً ظاهراً، أو فعلاً مقدراً[62].

ولو تتبعنا مؤلفات علماء ، لوجدنا أنّهم قد تناولوا بالدِّراسة زمن العامل في (أيّ) الموصولة، وهم عندما تناولوا هذا الجانب في (أيّ) الموصولة، كان حديثهم منصباً على

المنارة للاستشارات

مسألة المضي والاستقبال، وهي من المسائل التي دار الخلاف حولها بينهم، فمنهم من رأى أنّه من الواجب أن يكون العامل في (أيّ) الموصولة مستقبلاً، وأنه لا يصح أن يكون العامل فيها ماضياً، وهم الكوفيون، ومنهم من أجاز أن يكون العامل في (أيّ) الموصولة ماضياً أو مستقبلاً، وهم البصريون.

وقد ذكر ابن السراج أن (أيّاً) الموصولة تفيد بعض ما تضاف إليه، أي المبهم المجهول، ولو كان العامل فيها ماضياً، لعلمنا البعض الذي وقع به الفعل، وذهب الغرض أو المعنى الذي وضعت له (أيّ) الموصولة هنا، ويقرّر أنّ المستقبل لا يكون كذلك[63].

ويُفهم من كلام ابن السرج أنّ (أيّاً) الموصولة وضعت للإبهام، ويناسبها في ذلك الفعل المستقبل؛ كونه يفيد الإبهام أيضاً، فهو المناسب للعمل فيها، والماضي غير ذلك، فقد علم ولم يعد مبهماً، وإذا وقعت وهي للإبهام مع الماضي المعلوم وقعنا في التناقض.

والحقيقة أنّ الراجح في هذه المسألة ما ذهب إليه جمهور العلماء، وهو أنّ العامل في (أيّ) الموصولة هو المستقبل لا غير؛ وذلك للإبهام الذي فيها، ذلك الإبهام الذي يناسبه المستقبل، بالإضافة إلى أنّه لم يرد في كلام العرب ما يفيد عمل الماضي فيها[64]، وبناءً على ذلك، فإنه يصح لنا أن نقول: لأضربن أيّهم في البيت، ولا يصح لنا أن نقول: ضربت أيّهم في البيت.

وأصل من خلال ما عرضته حول (أيّ) الموصولة إلى أنّه من الواجب أن يكون العامل فيها مستقبلاً، وأنّه لا يصح أن يكون العامل فيها ماضياً في الغالب، وأنّها وضعت للإبهام، ويناسبها في ذلك الفعل المستقبل؛ كونه يفيد الإبهام أيضاً، فهو المناسب للعمل فيها، والماضي غير ذلك، فقد علم ولم يعد مبهماً.

ولو دققنا النظر في (أيّ) الموصولة، لوجدناها تستهدف سياقات لغويّة محدّدة، وهي سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو، فالحدث في سياقها غير مؤكد الحدوث ولا منفيّ الحدوث؛ وذلك انطلاقاً من

المنارة للاستشارات

أنّ زمن العامل فيها يجب أن يكون مستقبلاً، وأنّه لا يصح أن يكون ماضياً، وأنّه لم يرد في كلام العرب ما يفيد عمل الماضي فيها، وكل ذلك للإبهام الذي فيها، الذي يناسبه المستقبل لا الماضي، وهي عندما وقعت ضمن دائرة هذه السياقات ستكون لفظاً حسّاساً أو مستقطباً في اللغة (**Polarity Items**)، وذلك كما جاء في النظريّة التي قمت بعرضها، وبذلك ستقع ضمن القسم الثاني الذي وضعته لها، وأعني هنا (أيّاً) التداوليّة الحسّاسة أو المستقطبة في اللغة، وهذا يختصر الكثير مما قيل عنها في هذا الجانب

د. (أيّ) وصلة لنداء ما فيه (أل):

لو تتبَّعنا دراسات النّحاة العرب، لوجدنا أنّهم يجعلون (أيّاً) المبهمة وصلة لنداء ما فيه الألف واللام، وقد وصفها العلماء بالوصلة من باب أنّه لا يجوز في أن نقول: يا الرجل، ولو صح ذلك لخالفنا سمات التي لا تجيز الجمع بين علامتي تعريف؛ لأنّ (يا) تنبيه بمنزلة التعريف في الرجل، وقد وقع الاختيار من قبل العلماء على (أيّ) هنا؛ كونها مبهمة معربة، وهي من هذا الجانب صالحة لكل شيء[65].

ويتفق غالبية العلماء على أنّ (أيّاً) في النداء اسماً مبهماً مبنياً على الضم؛ فهو عندهم في باب المنادى المفرد المعرفة، وقد اكتسب الإبهام بسبب افتقاره إلى ما يفسره ويوضّحه ويزيل عنه الإبهام، وبناءً على ذلك، فإنّه لا يصح أن يقول أحدنا: يا أيّ، أو يا أيّها، ويسكت[66]، بينما يصح قولنا: يا أيُّها الطلابُ، قرع الجرس فادخلوا إلى غرفكم الصفية، ويا أيّتُها الطالبةُ، قرع الجرس فادخلي إلى غرفتك الصفية، وتابع (أيّ) و (أيّة) في الجملتين السابقتين واجب الرفع مراعاة شكلية للمنادى، وهو (أيّ) و (أيّة)؛ وذلك بسبب أنّ التابع نعت، ومنعوته، أي المنادى، هو كلمة (أيّ) في التذكير والتأنيث، فـ(أيّ) و (أيّة) مبنيتان على الضم في محل نصب؛ لأنّ كلاً منهما منادى (نكرة مقصودة)، و(ها) حرف تنبيه زائد زيادة لا تفارقهما، وكلمتا (الطلاب) و (الطالبة) نعتان متحركان بحركة مماثلة وجوباً لحركة المنادى مراعاة لمظهره الشكلي فقط؛ وذلك على الرغم من بنائه، فهما صفتان معربتان منصوبتان

المنارة للاستشارات

محلاً لا لفظاً، أي أنّهما منصوبتان تبعاً لمحل المنادى بفتحة مقدرة على الآخر منع من ظهورها ضمة المماثلة للفظ المنادى في صورته الشكلية[67].

وللعلماء مذاهب في (الهاء) التي تلحق بـ(أيّ) في النداء، فمنهم من عدها للتوكيد، ومنهم من رأى أنّها عوض عن المحذوف منها للإضافة وزيادة في التنبيه، ومنهم من جعلها في وجهين: عوض من المضاف إليه والتنبيه، ومنهم من ذهب إلى أنّ (الهاء) في (أيّ) ليست متصلة بـ(أيّ)، وإنّما باقية من اسم الإشارة، فالأصل عندهم: يا أيّ هذا الرجل، علماً أنّ أقوى المذاهب ما جاء به سيبويه حين عدها للتوكيد؛ نظراً لقياسها على (أيّ) الشرطيّة والاستفهاميّة والموصولة، التي قد يحذف منها المضاف إليه، ولا يعوض عنه بشيء فيها[68].

وإذا انتقلنا إلى العامل في المنادى بشكل عام عند علماء ، فإننا سنجد الجمهور ينصبونه بفعل لازم الإضمار، وهو: (أنادي، وأدعو، وأنبه)، حيث أضمر هذا الفعل لكثرة الاستعمال، وناب عنه حرف النداء، ومنهم من ذهب إلى أنّه منصوب بعامل معنوي، وهو القصد، ومنهم من رجح أنّه منصوب بحرف النداء نيابة عن الفعل، فيكون هنا مشبهاً بالمفعول به[69].

وقد قلت سابقاً إنّ المتتبّع لدراسات علماء لن يجدهم قد درسوا (أيّاً) المشدّدة ضمن الحقل البلاغيّ الذي تندرج ضمنه، بل درسوها من وجهة نظر نحويّة خالصة، ومن هنا انطلق البلاغيّون لدراستها من خلال نظرة أسلوبية نابعة من تقسيمهم للأساليب في إلى قسمين محدّدين، هما: الخبر والإنشاء[70].

وإذا تناولنا أسلوب الإنشاء من وجهة نظر البلاغيّين، سنجد أنّهم قد قسموه إلى قسمين، هما: الإنشاء الطلبي والإنشاء غير الطلبي، ويتعلّق الإنشاء الطلبي باستدعاء المطلوب غير الحاصل وقت الطلب؛ نظراً لامتناع تحصيل الحاصل، وهو في خمسة أنواع، هي: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، وكلّ نوع من هذه الأنواع لا يحتمل الصدق ولا الكذب، وغير ذلك يعد من الإنشاء غير الطلبي، ولو تناولنا النداء، وهو قسم من أقسام الإنشاء الطلبي عند البلاغيّين، لوجدنا أنّهم يعرّفونه بطلب إقبال المدعو، أي المخاطَب،

المنارة للاستشارات

على الداعي، أي المخاطِب، لهدف ما، ويكون حرف النداء هنا قائماً مقام فعل النداء (أدعو)، ويتضمن معناه، ويصحب غالباً الأمر والنهي، والغالب في النداء أن يتقدم، نحو قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالنَّاسُاعْبُدُواْرَبَّكُمُ﴾[71]، ومن الممكن أن يتأخر، نحو قوله تعالى: ﴿وَتُوبُواإِلَىاللَّهِجَمِيعًاأَيُّهَاالْمُؤْمِنُونَلَعَلَّكُمْتُفْلِحُونَ﴾[72]، وقد يأتي مع الجملة الخبرية التي تعقبها جملة الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالنَّاسُضُرِبَمَثَلٌفَاسْتَمِعُوالَهُ﴾[73]، ومن الممكن أن لا تعقبها جملة الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالنَّاسُأَنتُمُالْفُقَرَاءإِلَىاللَّهِ﴾[74]، وقد تأتي معه الجملة الاستفهاميّة، نحو قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالنَّبِيُّلِمَتُحَرِّمُ﴾[75].

ويفسِّر البلاغيّون الفرق بين قولنا: يا رجل ويا أيّها، فالأولى عندهم نداء، والثانية نداء أيضاً، لكن في الثانية تأكيد لجلب المنادى وتخليصه من غفلته، وفي قولنا: يا رجل، لن يلتفت لندائنا إلا المعني أو المذكور إذا علم ذلك، أمّا قولنا: يا أيّ، فالمنادى غير معلوم في البداية، لذلك يكون لكل السامعين المتطلعين إلينا، فإذا حددنا واحداً، كان في ذلك إنباه للكل؛ لتطلعهم إلينا[76].

ويقرِّر البلاغيّون أنّ في التركيب الندائي لـ(أيّها) العديد من اللطائف والجماليات النابعة من الأمر والنَّهي والخبر والاستفهام التي تصحب هذا التركيب، وسأعرض بعض الأمثلة لتوضيح ذلك فيما سيأتي من هذه الجزئيّة في هذا البحث.

يقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُواْ﴾[77]، وهنا يذهب البلاغيّون إلى أنّ الخطاب موجّه للذين آمنوا بالله رباً، وبمحمد -ﷺ- نبياً، وبالقرآن الكريم منهجاً، وعندما تخص النداء بوصف الإيمان يكون ذلك تشريفاً للمؤمنين، فهو من أشرف الأوصاف، ويكون التركيز في مثل هذه الآية على أنّ الالتزام بالأحكام التي تقررها الآية أو الآيات المماثلة بعد النداء من صفات المؤمنين؛ لذلك على من يريد أن يقع ضمن دائرة الخطاب أن يلتزم، وكأنّ ذلك طلب أو تحريض على الطاعة والامتثال[78].

ويتحدث البلاغيّون عن اختيار اللفظ (آمنوا) بالذات في هذه الآية، ويقررون أنّ هذا اللفظ جاء بهذه الصورة لتوضيح أنّ الأيمان لا يزال فعلاً، فمن شملهم الخطاب لم

المنارة للاستشارات

يرقوا إلى أعلى درجة في الإيمان، فهم فيهم غفلة؛ لذلك يدخلون في عموم من دخلوا في الإيمان، وليس في الخاصة، كما أنّ هناك فرقاً بين أن يُقال: (يا أيّها المؤمنون) و (يا أيّها الذين آمنوا)، فالمؤمنون أعلى إيماناً ومنزلة من الذين آمنوا، وقد اتصف المؤمنون بهذه الصفة الثابتة التي أصبحت ملاصقة لهم، أمّا الذين آمنوا، فالإيمان عندهم فعلاً لم يصل إلى درجة الثبوت[79].

وفي مثل هذا النداء يذهب البلاغيّون إلى أنّه يتصف بالعمومية التي يدخل فيها القريب والبعيد، وهو لتذكير المنادَى بالأحكام التي التزم بها بسبب إيمانه؛ وذلك لدفعه إلى التسليم والطاعة والارتقاء بدرجة الإيمان؛ كونهم ما زالوا في غفلة تدفعهم إلى إكمال إيمانهم والعلو به[80].

ويدعم ذلك قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُوآمِنُوابِاللّهِوَرَسُولِهِوَالْكِتَابِالَّذِينَزَّلَعَلَىرَسُولِهِوَالْكِتَابِالَّذِيأَنزَلَمِنقَبْلُوَمَنيَكْفُرْبِاللّهِوَمَلآئِكَتِهِوَكُتُبِهِوَرُسُلِهِوَالْيَوْمِالآخِرِفَقَدْضَلَّضَلاَلاًبَعِيدًا﴾[81]؛ إذْ يذهب الأمر هنا إلى الترغيب في الاستمرار بالإيمان من خلال أسلوب جمالي دقيق، ويذهب النهي في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُوالاَيَسْخَرْقَومٌمِّنقَوْمٍعَسَىأَنيَكُونُواخَيْرًامِّنْهُمْوَلاَنِسَاءمِّننِّسَاءعَسَىأَنيَكُنَّخَيْرًامِّنْهُنَّ وَلاَتَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْوَلاَتَنَابَزُوابِالْأَلْقَابِبِئْسَالِاسْمُالْفُسُوقُبَعْدَالْإِيمَانِوَمَنلَّمْيَتُبْفَأُوْلَئِكَهُمُالظَّالِمُونَ﴾[82]، إلى التلطف والرفق بالمخاطَب، فهو لوم وعتاب، وقد وصل إلى درجة تبكيت كل مؤمن وتقريعه تقريعاً شديداً إن راح إلى اللمز وتلقيب الغير بألقاب سيئة[83].

ولو دقّقنا النظر في (أيّ) التي هي وصلة لنداء ما فيه (أل)، لوجدناها تستهدف سياقات لغويّة محدّدة، وهي سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**) في نظريّة جياناكيدو، فالحدث في سياقها غير مؤكد الحدوث ولا منفيّ الحدوث؛ وذلك انطلاقاً من أن العامل في المنادى بشكل عام هو الفعل اللازم الإضمار، وهو: أنادي، وأدعو، وأنبه، الذي سد مسده حرف النداء وتضمن معناه، وأنّ النداء عند البلاغيّين يقع ضمن الإنشاء الطلبي الذي يستدعي المطلوب غير الحاصل وقت الطلب،

المنارة للاستشارات

وهو بذلك، أي النداء، يحتمل الصدق والكذب، وأنّ النداء عند البلاغيّين يحدد بطلب إقبال المدعو، أي المخاطَب، على الداعي، أي المخاطِب، لهدف ما، وهي عندما وقعت ضمن دائرة هذه السياقات ستكون لفظاً حسّاساً أو مستقطباً في اللغة (**Polarity Items**)، وذلك كما جاء في النظريّة التي قمت بعرضها، وبذلك ستقع ضمن القسم الثاني الذي وضعته لها، وأعني هنا (أيّاً) التداوليّة الحسّاسة أو المستقطبة في اللغة، وهذا يختصر الكثير مما قيل عنها في هذا الجانب.

هـ. (أيّ) التي للدلالة على معنى الكمال (أيّ الكماليّة):

إنَّ المتتبّع للمؤلفات النحوية العائدة لعلماء ، خاصة القديمة منها، سيجد أنّ أشهر العلماء يعدون (أيّاً) الكماليّة من ضمن الاستفهام، أو ضرباً من الاستفهام، وقد ذهب هذا المذهب سيبويه والخليل وابن جني، إلا أنّ الخليل وابن جني ضمنوها التعجب إلى جانب الاستفهام، فهي عندهما استفهاميّة تضمنت معنى التعجب، ومن العلماء من جعلها للدلالة على معنى التعجب والمدح، كالزجاجي والهروي، ومنهم من ذهب إلى أنّها للدلالة على معنى الكمال، كابن هشام، ومنهم من جعلها صفة، كابن عقيل[84].

ولو دقَّقتَ النظر في مصطلح (الكماليّة) الذي ألصق بـ(أيّ) هنا، لوجدته نابعاً من أنّ الكمال سبب في الاستفهام والتعجب، وأنت عندما تقول: مررت برجل أيِّ رجل، كأنك تقول لنا: لنباهة وكمال هذا الرجل أتطلع للسؤال عنه والتعجب من أحواله، وكأنّ الأصل هنا، أيّ الرجال هو، ومن هنا جاء معنى الكمال في (أيّ)، مع العلم أنّ معنى الاستفهام موجود بإبهام؛ وذلك ليفيد معنى المبالغة في الصفة، مدحاً كانت أم ذماً[85].

ويذهب الجمهور من العلماء إلى أنّ (أيّاً) في قولنا: مررت برجل أيِّ رجل، استفهاميّة لتأدية معنى المدح أو الذم، فالاستفهام فيها يؤدي إلى الإخبار بأعلى درجات الكمال، ومن الممكن أن يكون هذا التفسير سبباً في أنّ سيبويه لم يفرد لها باباً خاصاً في كتابه، وإنّما جعلها تحت باب (أيّ) الاستفهاميّة، وهذا لا يمنع من أنّه قد أدرك معنى الكمال فيها[86].

المنارة للاستشارات

ولو دقَّقنا النظر في (أيّ) التي هي للدلالة على معنى الكمال (أيّ الكماليّة)، لوجدنا أنّ الراجح فيها هو أنّها موضوعة للاستفهام، فقد عدها أشهر النّحاة وأكثرهم من ضمن الاستفهام، أو ضرباً منه، وضمنوها معنى التعجب إلى جانب الاستفهام، وأنّ مصطلح الكماليّة الذي نعتت به نابع من أنّ الكمال سبب في الاستفهام والتعجب، فمعنى الاستفهام موجود فيها لإفادة معنى المبالغة في الصفة، مدحاً أم ذماً، وهي عندما وقعت استفهاماً، ستكون ضمن القسم الأول الذي وضعته لها بناءً على معطيات النظريّة التي قمت بعرضها، وأعني هنا (أيّاً) الاستفهاميّة، وهذا يختصر الكثير مما قيل عنها في هذا الجانب.

وأصل بعد هذا العرض إلى أنّه لا ضرورة للحيز الكبير الذي أخذته استعمالات الأداة (أيّ) في دراسات النّحاة العرب، فموضوعها سهل بسيط قمت بتوضيحه من خلال مفهوم جياناكيدو للفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة، فقد توصّلت إلى نتيجة مفادها أنّ (أيّاً) إمّا أن تكون استفهاميّة صريحة، وإمّا أن تكون تداوليّة، وهي عندما تكون تداوليّة، ستقع ضمن دائرة الألفاظ الحسّاسة أو المستقطبة في اللغة، وذلك على نحو ما جاء في نظريّة جياناكيدو، وهذا يختصر الكثير مما قيل عنها في حال كونها خارجة عن الاستفهام في اللغة ؛ لأنّ النّحاة العرب عندما تحدثوا عنها بعيدة عن الاستفهام، جعلوها في استعمالات كثيرة متعدّدة لم يتفقوا عليها، وهم عندما اتفقوا على بعض استعمالاتها، وجدنا مفهومهم للاستعمالات التي اتفقوا عليها خاطئاً بعيداً عن الدقة.

والبارز في (أيّ) التداوليّة التي توصّلت إليها بناءً على معطيات نظريّة جياناكيدو، أنّ هذه الأداة تستقطب سياقات لغويّة معيّنة في اللغة، وهي سياقات عدم ثبوت وقوع الحدث (**Non-veridical situations**)، التي تحدّثت عنها جياناكيدو في نظريّتها التي قمت بعرضها، وهذا يعني أن هذه الأداة، وأعني هنا (أيّاً) التداوليّة، تبتعد عن سياقات ثبوت وقوع الحدث (**Veridical situations**) في النظريّة نفسها، فيصح قولنا: لأضربن أيّهم في البيت، ولا يصح قولنا: ضربت أيّهم في البيت[87]، ويصح قولنا: أيُّهُم تَضْرِبْ أضْرِب، ولا يصح قولنا: أيُّهُم ضربْت أضْرِب[88].

المنارة للاستشارات

الخاتمة:

توصّل هذا البحث إلى عدد من النّتائج، أدرج أهمّها:

أولاً: يصل المدقّق في الأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة إلى أنّ هذه الأداة قد أخذت حيّزاً كبيراً من ناحية الحديث عن استعمالاتها في دراسات النّحاة العرب، والحقيقة أنّ موضوع استعمالاتها سهل بسيط يمكن توضيحه من خلال مفهوم جياناكيدو للفظ الحسّاس أو المستقطب في اللغة في نظريتها الموسومة بـ: (**نظريّة ثبوت وقوع الحدث الدلاليّة (The (Non)veridicality Approach)**)، فهي إمّا أن تكون استفهاميّة صريحة، وإمّا أن تكون تداوليّة.

ثانياً: يتحدّد الاستعمال التداوليّ للأداة (أيّ) في اللغة الفصيحة في أنّها لفظ حسّاس أو مستقطب لسياقات لغويّة معيّنة في اللغة، وذلك حسب أفكار نظريّة جياناكيدو الموسومة بـ: (**نظريّة ثبوت وقوع الحدث الدلاليّة (The (Non)veridicality Approach)**).

([1]) الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد، (2002م)، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط3، ص169.

([2]) دايك، تون أ. فان، (2001م)، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط1، ص114-118.

([3]) الحوفي، أحمد محمد، (1996م)، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، د.ط، ص20.

([4]) انظر: دايك، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ص114، وما بعدها، والحوفي، فن الخطابة، ص20، وما بعدها.

(5) Giannakidou, A. (1998), Polarity Sensitivity as (Non)veridical Dependency, Amsterdam and Philadelphia, John Benjamins. Giannakidou, A. (1999),

المنارة للاستشارات

'Affective dependencies', *Linguistics and Philosophy* 22: 367-421. Giannakidou, A. (2000), 'Negative ... concord?', *Natural Language and Linguistic Theory* 18: 457–523. Giannakidou, A. (2002), 'Licensing and sensitivity in polarity items: from downward entailment to nonveridicality', in M. Andronis, A. Pycha and K. Yoshimura (eds.),*CLS 38: Papers from the 38th Annual Meeting of the Chicago Linguistic Society*, 29-53. Giannakidou, A. (2006), 'N-words and negative concord', in M. Everaert, H. van Riemsdijk, R. Goedemans and B. Hollebrandse (eds), *The Blackwell Companion to Syntax* Vol. 3, Malden, Blackwell, 327–392. Giannakidou, A. (2011), 'Negative and positive polarity items: licensing, compositionality and Variation', in C. Maineborn, K. von Heusinger and P. Portner (eds), *Semantics: An International Handbook of Natural Language Meaning*, Berlin, Mouton de Gruyter, 1660-1712.

(6) Zwarts, F. (1995), 'Non-veridical contexts', *Linguistic Analysis* 25: 286-312.

(7) Giannakidou, A. (2001), 'The meaning of free choice', Linguistics and Philosophy 24: 659–735.

([8]) انظر: الصرايرة، طايل، (2015م)، ملازمة النَّفي في اللغة العربيّة الفصيحة (دراسة تقابلية في ضوء علم اللغة المعاصر)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدّراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ص36، وما بعدها.

([9]) سورة البقرة، الآية: 285.

([10]) سورة البقرة، الآية: 96.

([11]) المراغي، أحمد مصطفى، (1946م)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 166/1.

([12])سورة التوبة، الآية: 127.

([13]) المراغي، تفسير المراغي، 53-51/11.

([14]) سورة فاطر، الآية: 41.

([15]) المراغي، تفسير المراغي، 137/22.

([16]) سورة الإخلاص، الآية: 1.

([17]) السامرائي، فاضل، (2003م)، معاني النَّحو، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 240-236/3.

([18]) صافي، محمود، (1995م)، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق، سورية، ومؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط3، م426/10.

المنارة للاستشارات

([19]) انظر: عبد التواب، رمضان، (1999م)، فصول في فقه العربيّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط6، ص336؛ وعمر، أحمد مختار، (1998م)، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط5، ص102.

([20]) انظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت:180هـ)، (1988م)، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 314/2؛ وابن السراج، أبو بكر، (ت: 316هـ)، (1996م)، الأصول في النَّحو، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 297/1.

([21]) السامرائي، فاضل، (1990م)، معاني النَّحو، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، د.ط، 589/4؛ وجمعات، توفيق، (2006م)، النَّفي في النحو العربيّ: منحى وظيفي وتعليمي (القرآن الكريم عينة)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ص32.

([22]) السامرائي، معاني النَّحو، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، 182/2-184.

([23]) انظر: ابن جني، أبو الفتح، (ت: 392هـ)، (د.ت)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، د.ط، 75/3-83؛ وجمعات، النَّفي في النحو العربيّ: منحى وظيفي وتعليمي (القرآن الكريم عينة)، ص34.

([24]) انظر: الأنصاري، ابن هشام، (ت:761هـ)، (1991م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، د.ط، 225/1؛ والسامرائي، معاني النَّحو، جامعة بغداد، 600/4.

([25]) سيبويه، الكتاب، 54/1-56.

([26]) انظر: ابن منظور، محمَّد بن مكرم، (ت:711هـ)، (د.ت)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمَّد أحمد حسب الله وهاشم محمَّد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، ص35، مادة (أحد).

([27]) انظر: سيبويه، الكتاب، 54/1-56، وابن منظور، لسان العرب، ص35، مادة (أحد).

([28]) الموزعي، محمَّد بن علي ابن الخطيب، (ت:825هـ)، (1993م)، مصابيح المغاني في حروف المعاني، دراسة وتحقيق: عائض بن نافع بن ضيف الله العمري، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ط1، ص189-193؛ والهروي، علي بن محمَّد، (ت:415هـ)، (1993م)، كتاب الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملّوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، سوريا، ط2، ص106-110.

([29]) الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 90/1-94.

المنارة للاستشارات

([30]) انظر: الهروي، كتاب الأزهية في علم الحروف، ص106-110، وابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد، (ت:672هـ)، (2000م)، شرح الكافية الشافية، تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 120/1-121، والأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 90/1-94.

([31]) الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 90/1-94.

([32])ا لسامرائي، معاني النَّحو، جامعة بغداد، 629/4.

([33]) السامرائي، معاني النَّحو، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، 129/1.

([34])العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، (ت:616هـ)، (1995م)، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: الدكتور عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 134/2.

([35]) سورة الشعراء، الآية:227.

([36])انظر: الهروي، كتاب الأزهية في علم الحروف، ص108.

([37])انظر: الهروي، كتاب الأزهية في علم الحروف، ص108.

([38])سورة الكهف، الآية:12.

([39])سورة البقرة، الآية: 102.

([40]) انظر: المبرد، أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد، (ت:285هـ)، (1979م)، كتاب المقتضب، تحقيق: محمَّد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ط2، 297/3.

([41])حسن، عبَّاس، (د.ت)، النحو الوافي، دار المعارف، جمهورية مصر العربية، لبنان، ط9، 104/3-105.

([42])حسن، النحو الوافي، 106/3.

([43])حسن، النحو الوافي، 107/3.

([44])القزويني، الخطيب، (ت:739هـ)، (د.ت)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط2، 51/3-52.

([45])السكاكي، يوسف بن محمَّد بن علي، (ت:626هـ)، (2000م)، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، ص413-414.

([46])سورة الأنعام، الآية: 80-81.

([47]) انظر: فودة، عبد العليم، (1953م)، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ص162.

المنارة للاستشارات

([48])السيوطي، جلال الدين، (ت: 911هـ)، (1985م)، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 43/7.

([49])ابن السراج، الأصول في النَّحو، 158/2، وما بعدها.

([50])الأنباري، كمال الدين أبو البركات، (ت:577هـ)، (د.ت)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق ودراسة: الدكتور جودة مبروك محمّد مبروك، مراجعة: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط1، ص44.

([51])انظر: الوراق، أبو الحسن محمد بن عبد الله، (ت: 381هـ)، (2005م)، العلل في النحو، تحقيق: مها مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، ص279؛ وابن الخباز، أحمد بن الحسين، (ت: 638هـ)، (2007م)، توجيه اللُمع (شرح كتاب اللُمع لأبي الفتح ابن جني)، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور فايز زكي محمد ذياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط2، ص372.

([52])سورة الإسراء، الآية:110.

([53])الاستراباذي، رضي الدين محمَّد بن الحسن، (ت: 684هـ، أو 686هـ)، (1996م)، شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 253/2.

([54])سورة القصص، الآية:28.

([55]) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، 429/1؛ ابن مالك، شرح الكافية الشافية، 169/2؛ والفرَّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (ت: 207هـ)، (1983م)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 305/2.

([56])انظر: الوراق، العلل في النحو، ص281؛ وابن الخباز، توجيه اللُمع (شرح كتاب اللُمع لأبي الفتح ابن جني)، ص376-377.

([57])انظر: الوراق، العلل في النحو، ص281؛ وابن الخباز، توجيه اللُمع (شرح كتاب اللُمع لأبي الفتح ابن جني)، ص376-377.

([58])انظر: الأنباري، كمال الدين أبو البركات، (ت: 577هـ)، (1997م)، أسرار العربيّة، دراسة وتحقيق: محمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، ص193.

([59])ابن يعيش، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي، (ت:643هـ)، (2001م)، شرح المفصَّل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 381/2.

المنارة للاستشارات

([60])ابن يعيش، شرح المفصَّل للزمخشري، 2/379-381.

([61])ابن يعيش، شرح المفصَّل للزمخشري، 2/381؛ والعكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: الدكتور عبد الإله نبهان، 2/123-125.

([62])حسن، النحو الوافي، 1/363-364.

([63])ابن السراج، الأصول في النَّحو، 2/326.

([64])انظر: الأندلسي، أبو حيان، (ت: 745هـ)، (1998م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: الدكتور رجب عثمان محمد، مراجعة: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط1، 2/1012؛ وانظر، الأنصاري، ابن هشام، (ت: 761هـ)، (د.ت)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 1/150-153.

([65])انظر: سيبويه، الكتاب، 2/106؛ والأنباري، أسرار العربيّة، ص128.

([66])انظر: سيبويه، الكتاب، 2/188؛ وابن السراج، الأصول في النَّحو، 1/337.

([67])حسن، النحو الوافي، 4/45-46.

([68])انظر: سيبويه، الكتاب، 2/197؛ والعكبري، أبو البقاء (ت: 616هـ)، (1995م)، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1/337؛ والسيوطي، جلال الدين، (ت: 911هـ)، (1992م)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ط، 3/49-50.

([69])انظر: سيبويه، الكتاب، 2/182-193؛ والمبرد، كتاب المقتضب، 4/202-223.

([70])السكاكي، مفتاح العلوم، ص250-251.

([71])سورة البقرة، الآية: 21.

([72])سورة النور، الآية: 31.

([73])سورة الحج، الآية: 73.

([74])سورة فاطر، الآية: 15.

([75])سورة التحريم، الآية: 1، وانظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 3/51-52؛ والزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبد الله، (ت: 794هـ)، (2001م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ط، 2/135-136.

([76]) الرَّازي، الفخر محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الطبرستاني، (ت:606هـ)، (1997م)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 25/153.

المنارة للاستشارات

([77])سورة البقرة، الآية: 104.

([78])جمعة، سعيد، (2003م)، البلاغة العالميّة في آية المداينة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، ص50.

([79])جمعة، البلاغة العالميّة في آية المداينة، ص51.

([80])جمعة، البلاغة العالميّة في آية المداينة، ص51.

([81])سورة النساء، الآية: 136.

([82])سورة الحجرات، الآية: 11.

([83])جمعة،حسين،(2005م)، جمالية الخبر والإنشاء (دراسات بلاغية جمالية نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، ص129.

([84])انظر: سيبويه، الكتاب، 421/1-422؛ وسيبويه، الكتاب، 181/2؛ وابن جني، الخصائص، 269/3؛ والزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت: 340ه)، (1986م)، حروف المعاني، حققه وقدم له: الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ودار الأمل، إربد، الأردن، ط2، ص62-63؛ والهروي، كتاب الأزهية في علم الحروف، ص107؛ والأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 91/1-92؛ وابن مالك، شرح الكافية الشافية، 120/1.

([85])انظر: الشنقيطي، أحمد بن الأمين، (ت: 1331ه)، (1999م)، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 180/1.

([86])انظر: سيبويه، الكتاب، 422/1.

([87])انظر: الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، 1012/2؛ والأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 150/1-153.

([88])انظر: الوراق، العلل في النحو، ص281؛ وابن الخباز، توجيه اللُمع (شرح كتاب اللُمع لأبي الفتح ابن جني)، ص376-377.

المنارة للاستشارات